ابتسامة

تلك الشفاه ..
أمن اللهيب ومن لظاه ؟؟
أمن الشروق ومن سناه ؟؟
بسمت وقد عبس القضاء
وأطل يرقبها الشقاء
إحدى أماسيّ الشتاء الباردة
الراعده ..
جن الهواء ..
فله عواء
وعلا يزمجر حانقاً صوت الرعود
وزكا وميض
نظرات شيطان بغيض :!
كنا من الملهى جميعاً عائدين
والعائدون معربدون
يتلكأون ..
ويقهقهون ..
فاذا رأوا غضب الرياح
والرعد ينذر بالرواح
يتزملون ..
ويسارعون
وكذاك زين لى الفرار
فطفقت تدعوني النجاه
ألا أناه
لكن رأت عينى الحياه
أبصرت هاتيك الشفاه .!
تلك الشفاه شفاه طفل في الطريق
جمع القصاصات الكثيرة للحريق ..
وأمامه تل صغير أشعله ..
ما أجمله .!!
يمناه ترقص في اللهيب ..
ويساره فيه تغيب .!
ياللسعيد .!
ما كان يطمع من مزيد ..
الريح تنفخ ناره فتزيدها
لم يعنه إيقادها .!
هو يصطلى ..
ما شأنه بالمقبل ؟؟
بشرٌ يطل من العيون ..
وسعادة ملء الغضون
رغم الشحوب وقد علاه
رغم الهزال وقد عراه ..
ووقفت ما شاء الوقوف
وكأنما أنا شاعر أو فيلسوف ..
هذا الهزال أليس من جوع أليم ؟؟
أولا يمر به كريم ؟؟
وأخذت أبحث دون جدوى عن نقود
لم ألفها ..
فهناك قد أنفقتها
وفقدتها ..
إني ظلمتك يا غلام
لم أقتسم معك الحطام
لو شاء قومك أنقذوك
يا ويحهم قد عذبوك ..
هذا جناه مواطنوك
لم يجنه أبداً أبوك
نحن الجناه
نحن القساه
وعجبت إذ نظر الغلام
لي في ابتسام ..
عيناه سامحتا بطهرهما ذنوبي
شفتاه ساءلتا : أتحسبني انتصرت على
فعييت عن رد الجواب [الخطوب
وسمعت تهديد الرعود ..
وصياحها بي أن أعود ..
خلفته فوق الطريق
كان الوحيد بلا رفيق
ومضيت عنه بلا شعور
ونأيت عنه بلا ضمير
إلا بصيص خافت بين الضلوع
أهملته لم أحفل
أنكرته لم أخجل .!
ومضيت أذكر أنه طفل سعيد
أوليس يبسم للحياة العابسة ؟
أوليس يشرق في الليالى الدامسه ؟
أوليس يحميه الاله ؟؟
وبلغت داري شبه مرتاح خلي
لم أحفل
أحكمت اغلاق الرتاج ..
ونوافذي أوصدتها
أحكمتها ..
وحميت وجهي بالغطاء
واخترت نوم القرفصاء
وشعرت بالدفء الحبيب يحفني
ويلفني ..
قل للطبيعة : يا طبيعة أقلعي ..
أو روّعي
فانا حصين ..
الرعد ليس سوى طنين ..
والريح لا تلج العرين
أناذا أنام ..
أخطو إلى دنيا الرؤى ..
دنيا الجمال ..
لكن وكيف ولم أخاف ؟؟
هاتيك دقات خفاف
هاتيك دقات المطر ..
وهناك في الساح الرهيب ..
أمل تعلق في لهيب ..
وسينطفى ..
وسيختفى
وهناك يرتاع الوليد ..
ويبيت يبحث عن جفاف كي ينام
أترى ينام ؟
ما ضرني لو كان نام جواريه ؟
وآعاريه !!
لو كان في بيد لآوته الكهوف
ووقته من تلك الحتوف
لكنه في حاضره
فيها بيوت عامره
لكنه صوت ضعيف ليس يبلغنا صداه
هتفت به تلك الشفاه
أمن اللهيب ومن لظاه ؟؟
أمن الغروب ومن سناه ؟
بسمت ... فأبصرت الحياه
وخبت ... فأدركت الحياه
وكرهت أن أبقى جماداً في الحياه

القاهرة **اسماعيل مصطفى الصيفي**